Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

لصاحبى: والله إنى لأكره أن أرجع من بين صواحبى ولم آخذ رضيعًا. والله لأذهبن إلى ذلك اليتيم فلآخذنه...

«قال: لا عليكِ أن تفعلى، عسى الله أن يجعل لنا فيه بركة.

«فذهبت إليه فأخذته، وما حملنى على أخذه إلا أنى لم أجد غيره. فلما أخذته رجعت به إلى رحلى، فلما وضعته فى حجرى أقبل عليه ندياى بما شاءَ من لبن، فشرب حتى رَوِىَ، وشرب معه أخوه حتى روى. ثم ناما وما كنا ننام معه قبل ذلك. وقام زوجى إلى شارفنا تلك فإذا هى حائل، فحلب منها ما شرب، وشربت معه حتى انتهينا رِيًّا وشبعًا، فبتنا بخير ليلة...

«يقول صاحبى حين أصبحنا: تعلَّمى والله يا حليمة، لقد أخذتِ نسمة مباركة.

فقلت: والله إنى لأرجو ذلك.

ثم خرجنا وركبت أتانى وحملت محمدًا عليها معى، فوالله لَقَطعتْ بالركب ما يقدر عليها شىء من حُمُرهم، حتى إن صواحبى ليَقُلن لى: - يا ابنة أبى ذؤيب، ويحك، اربعى علينا؛ أليست هذه أتانك التى كنت خرجت عليها؟

فأقول لهن: بلى والله، إنها لهى هى...

فيقلن: والله إن لها لشأنًا.

«ثم قدمنا منازلنا، من بلاد بنى سعد، وما أعلم أرضًا من أرض الله أجدب منها. فكانت غنمى تروح علىَّ، حين قدمنا بمحمد معنا، شباعًا لبنًا فنحلب ونشرب، وما يحلب إنسان غيرنا قطرة لبن، ولا يجدها فى ضرع. حتى كان الحاضرون من قومنا يقولون لرعيانهم: ويلكم، اسرحوا حيث يسرح راعى بنت أبى ذؤيب!

فتروح أغنامهم جياعًا ما تبض بقطرة لبن، وتروح غنمى شباعًا لبنًا. فلم نزل نتعرف من الله الزيادة والخير، حتى مضت سنتاه وفصلتُه».

* * *

وحفظت مكة للتاريخ من أخبار صباه، رحلته مع أمه إلى يثرب فى السادسة من عمره: كانت متشوقة إلى زيارة قبر والده الثاوى هناك، وقد طال عليها الانتظار رغما جاوز صغيرها مرحلة الطفولة الغضة، ليحتمل مشقة الرحلة، وفى يثرب تُعرَّف إلى أخواله بنى النجار، وانطلق مع لداته من صبيتهم فى دروب المدينة التى ستكون دار هجرته.